

تاريخ القبول: 2025/04/26

تاريخ الإرسال: 2025/03/16

تاريخ النشر: 2025/04/30

نَظَرِيَّةُ الصَّوَانِ وَالصَّوَامِتِ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ -دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ-

The theory of vowels and consonants in Quranic expression - a semantic study in Surat Al-Haqqah -

الدكتور فاتح مرزوق¹

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميله (الجزائر)،

الإيميل المهني ¹ f.merzouk@centre-univ-mila.dz

الملخص:

يتناول هذا البحث جانبا مهما من الدرس اللغوي الصوتي والدلالي؛ مقترنا بالتعبير القرآني؛ لأن الصوت له وقع في النفس ونغمة في الأذن. والتعبير القرآني له مظاهر الصوتية التي يميزه عن غيره من التعبيرات؛ إذ إنه أعجز العرب قاطبة؛ فكان الصوت بصواته وصوامته سمناً وميسماً للإبانة عن الحس المرهف والعاطفة الجياشة لدى السامع حين تدبره للقرآن وتلاوته أو سماعه؛ مما يحدث في الجانب النفسي تأثيراً وتأثراً مائزاً؛ لذا وقع اختيارنا على سورة الحاقة؛ كونها أبرزت الدلالة الصوتية في التعبير القرآني وعلاقة بالسياق الذي وردت فيه، ناهيك عما أشار إليه اللغويون والمفسرون من دلالات جليلة التي تعتور هذه السورة.

وتنتهي الدراسة بعرض مختصر لأهم النتائج التي بصرتها من خلال البحث

حول نظرية الصوامت والصوائت في التعبير القرآني؛ كون القرآن الكريم يمتاز بميزات فريدة في نوعها من حيث النظم الصوتي

الكلمات المفتاحية: الصّوامت، الصّوائت، الدّلالة، التّعبير القرآني.

Abstract:

This research deals with an important aspect of the phonetic and semantic linguistic lesson, coupled with Quranic expression, because the sound has an impact on the soul and a tone in the ear. The Qur'anic expression has its phonetic manifestations that distinguish it from other expressions, as it is the most incapable of all Arabs, so the sound with its sound and fasting was a feature and a feature of the expression of the delicate sense and passion of the listener when he contemplated the Qur'an and recited or heard it, which causes in the psychological aspect an impact and a different influence, so we chose Surat Al-Haqq, as it highlighted the phonetic significance in the Qur'anic expression and its relationship to the context in which it was received, not to mention the great connotations referred to by linguists and interpreters that plague this surah.

The study ends with a brief presentation of the most important results that we have seen through research on the theory of silence and voices in Quranic expression, as the Holy Qur'an has unique features in terms of phonetic systems.

Keywords: (fasts, consonants, significance, Quranic expression

المؤلف المرسل: فاتح مرزوق، الإيميل: F.MERZOUK@CENTRE-UNIV-MILA.DZ

1. مقدمة:

تتطور الدّراسات الّتي تختصّ بالتّعبير القرآنيّ ونظمه وأسلوبه؛ لتُبين عن الإعجاز الّذي يستكن فيه من حيث تركيبه وصرفه ودلالته وصوته؛ وهذا الأخير يعدّ من البنى الدّقيقة الّتي أثبتت دقّة التّعبير القرآنيّ وسبكه؛ كون الصّوت ظاهرة لها معناها من خلال السّياقات الواردة؛ ولا غرو في ذلك؛ لأنّ الصوت له وقع في النّفس ونغمة في الأذن. والتّعبير القرآنيّ له مظاهره الصّوتية الّذي يميّزه عن غيره من التّعابير؛ إذ إنّه أعجز العرب قاطبة؛ فكان الصّوت بصوائته وصوامته سمناً وميسماً

للإبانة عن الحسّ المرفه والعاطفة الجياشة لدى السامع حين تدبّره للقرآن وتلاوته أو سماعه؛ ممّا يحدث في الجانب النفسيّ تأثيراً وتأثراً مائزاً؛ حتّى قيل بشهادة شاهد: "والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يعلو، وإنّه ليحطّم ما تحته" كلّ هذا من خلال السّمع في الجانب الصّوتيّ فأثّر في الجانب النفسيّ؛ لذا وقع اختيارنا على سورة الحاقة؛ كونها أبرزت الدلالة الصّوتية في التعبير القرآنيّ وعلاقة بالسياق الذي وردت فيه.

وحريّ بنا أن نشير أنّ الصّوائت والصّوائت في سورة الحاقة لم ترد عبثاً، وإنّما نسجت نسجاً محكما، وسبكت سبكا دقيقاً؛ أبان عن المعاني المستكنة وراءها. والتعبير القرآنيّ له مميّزته المائزة التي جعلته ينماز عن التعابير الأخرى فالصائت يدلك على أثره في النفس، والأمر حاصل في الصّوت؛ فإذا اتّصلا أحداثاً تلك العلائق المعنويّة والدلاليّة ذات الوقع الشجيّ والندبيّ؛ فيكون محلّها القلب؛ ومن ثمّ يحدث التّجاوب، ومن بعد ذلك يتمّ الأثر النفسيّ، ويحصل الانفعال.

ومن هذا المنطلق نرؤم الإجابة عن الإشكالية الرئيسيّة: كيف أسهمت الصّوائت والصّوائت في إبراز مكنة التعبير القرآنيّ ودلالته، وبخاصّة في الجانب النفسيّ؟

2. مفهوم الصّوت اللّغويّ: ورد تعريف الصّوت في معاجم اللّغة؛ بمعنى الجرس الذي يقع في أذن السامع وقد أشار ابن فارس لهذا بقوله: "الصّاد والواو والنّاء أصل صحيح، وهو الصّوت، وهو جنس لكلّ ما وقر في أذن السامع. يقال: هذا صوت زيد، ورجل صيّت؛ إذا كان شديد الصّوت، وصائت: إذا صاح، فأما قولهم: دعي فانصات فهو من ذلك أيضاً، كأثّه صوّت به فانفعل من الصّوت، وذلك إذا أجاب. والصّيّت: الذّكر الحسن في النّاس"¹ يتبيّن من المعنى اللّغويّ للصّوت أنّه يركّز على الجانب السّمعّي وبخاصّة في الجانب النفسيّ كما أشار في قوله (فانفعل) وهو جانب منوط بالانفعال؛ ومرتبّط بذاته في النفس.

وأما الصّوت في الاصطلاح فيقصد به: "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون إدراك كنهها، ونستطيع القول: بأنّ الصّوت عبارة عن اهتزازات مرئية أو غير مرئية يحدثها جسم ما"². إذن الصّوت ظاهرة علمية غير مرئية تعتمد على الاهتزازات؛ نابعة من الجهاز النطقي للإنسان.

ويعرفه العالم (ابن سينا) قائلا: "تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة بأي سبب

كان"³

وتدر الإشارة إلى أنّ ارتفاع الصّوت وحدوثه يرتبط ارتباطا وثيقا بعناصر ثلاثة تقتضي عملياته:

-وجود جسم في حالة تذبذب؛

-وجود وسط تنتقل فيه ذبذبة الصّادرة عن الجسم المتذبذب؛

-وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات"⁴ إذن الصّوت عند العلماء يحتكم إلى

القوانين الثلاثة التي تجعل من الصّوت ذا قوة حتى يتمكّن السّامع من سماعه.

وأما المقصد بالأصوات اللغوية هو العلم يهتم: "بالحروف التي هي اللبنة

الأولى في تكوين الكلمات، وذلك بالبحث عن مواطن خروجها، وهي التي أطلق

عليها مخارج الحروف، وعن الصفات التي تتّصف بها تلك الحروف من: الجهر

والهمس والتنغيم والترقيق، ويهتم أيضا بالدراسات التي تعالج أصوات اللّغة، وتبين

كيف النطق بها، وطبيعتها الفيزيائية"⁵.

إذا الصّوت اللّغوي يركّز على مخارج الأصوات وصفاتها، سواء تعلّق الأمر

بالحروف أم الحركات؛ أي: الصّوامت أم الصّوائت؛ وهنا إشارة إلى الوظائف التي

تؤديها الحروف والحركات داخل اللّغة؛ بل الصفات التي تُعَوِّزها من جهر ونبر

وتنغيم. ومن هنا كان لزاما أن يكون لهذا العلم (الصّوت اللّغوي) منهجان: علم

الأصوات اللّغوي (فونتيك) وعلم الأصوات الوظيفي (فونولوجي)؛ أي: ما يدرسه

دراسة علمية شكلية من دون مراعاة المعنى والوظيفة، ونوع يقوم على دراسة الصوت دراسة معنوية وظيفية داخل السياقات المختلفة.

3. منهج دراسة الصوت اللغوي: سبقت الإشارة إلى أن اللغويين -في مجال

الأصوات- قسموا منهج دراستها قسمين:

1.3. علم الأصوات اللغوية: وهو علم "يدرس الأصوات اللغوية وكأنها مجرد

حوادث فيزيائية لا علاقة لها باللغة التي هي أحد عناصرها، فيتهم بمخارجها وصفاتها ومقادير شدتها وعدد ذبذباتها وأطوالها وما إلى ذلك⁶ بمعنى أننا هذا النوع علمي مجردا يعنى بدراسة وظيفة الصوت داخل المقامات الكلامية.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث (عصام نورالدين) يرى أن هذا المفهوم للمصطلح (علم الأصوات اللغوية) هو من ترجمة (محمد أبو الفرج) حيث يقول: "وقد ارتضينا ترجمة هذا المصطلح بـ(علم الأصوات اللغوية) وهي ترجمة الدكتور محمد أبو الفرج) وتعريبه إلى (فونتيكا) أو (فوناتكس) أو (فوناتيك) ولم نأخذ بترجمته إلى (علم الأصوات العام) أو (علم الأصوات) أو (علم الصوتيات) أو (علم الصوتية) دون إرادته معرباً؛ لأن علماء العربية المحدثين لم يتفقوا على ترجمة موحدة"⁷.

2.3. علم وظائف الأصوات:

أ-أنواع الأصوات في الدرس الصوتي: تجدر الإشارة إلى الأصوات الكلامية

تنقسم قسمين: الصوامت (الحروف)، والصوائت (الحركات).

-الصوائت (الحركات): هو مصطلح أطلقه المحدثون ويقصدون به الحركات؛

إذ يعرفها رمضان عبد الثواب على أنها: "الأصوات المتحركة في العربية الفصحى ما سَمَّاه النَّحَاة العرب بالحركات وهي الفتحة والضمة والكسرة وكذلك حروف المدّ واللّين؛ الألف في (قال) والواو في (يدعو) والياء في (القاضي)"⁸ الظاهر من قول

الباحث أنَّ (الصَّوَّات) ترتبط بالحركات الإعرابية المعروفة في النّحو العربيّ، أضف إليها حروف العلة والتي عبّر عنها بحروف المدّ واللّين.

وليس ببعيد تعريف (رمضان عد الثَّوَاب) من تعريف (إبراهيم أنيس) حيث يرى أنها ذاتها حروف المدّ وقدّ سمّاها بـ: (أصوات اللّين) في قوله: "وأصوات اللّين ما اصطلاح عليه القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وضمة وكسرة، وكذلك ما سمّوه بألف المدّ وواو المدّ وياء المدّ"⁹ وهنا إشارة إلى العلاقة القائمة بين مصطلحات النّحو وعلم الأصوات والتّجانب والاتّساق قائم بينهما؛ فعلم النّحو ليس بمعزل عن علم الأصوات؛ لذا نجد الباحث (كمال بشر) يعرف الصَّوَّات تعريفًا صوتيًا من خلال قوله: "الصَّوَّت المجهور الذي يحدث في أثناء النّطق به، أن يمرّ الهواء حرًا طليقا، دون أن يقف في طريقه أيّ عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقًا من شأنه أن يحدث احتكاكًا"¹⁰ منطلق تعريف الباحث للصَّوَّات منطلق صوتيّ نطقي، أي: في حالته الفيزيائية، وهي إشارة إلى حروف المدّ واللّين؛ لأنّ المجري فيها يكون طليقا دون حاجز في النّطق.

ب-الصَّوَّات: عرّفه (محمود السّعران) على أنّه "الصَّوَّت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملا كما في حالة الباء أو اعتراضا جزئيًا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع كما في حالة: النّاء والفاء مثلا"¹¹

ويشير في موضع آخر أنّ الصَّوَّات تكون في المجهورة بقوة ومائزة وفيها نوع من الشّدة، ولعلّ هذا يميزها عن غيره؛ حيث يقول: "والصَّوَّات المجهورة أشدّ بروزا من الصَّوَّات المهموسة وأصوات اللّام والصَّوَّات الأنفية المجهورة. أما الصَّوَّات المهموسة فهي تتّصف بقدر من البروز قليل جدا بالقياس إلى الأصوات المجهورة"¹².

4. وظائف الأصوات: لا شك أن علوم اللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا ببعضها من بعض؛ بل إنها تتصافر فيما بينها لتحدث انسجاما داخل النص والتعبير؛ وعلم الأصوات كغيره من العلوم: النحو والصرف له لها دلالة ووظيفية تؤديها من خلال السياق الواردة فيها، ومن هنا لحظ العلماء وظيفتين اثنتين للأصوات اللغوية:

1.4. وظيفة صوتية: "وهي أساس وجود الصوت، وبناء المعاني ألمحنا إليها، وتتجلى بوضوح أكثر في الجوار الصوتي.

2.4. وظيفة دلالية: "تختلف مكانها باختلاف موقع الصوت في المستويات اللسانية؛ ففي المستوى الإفرادي تنحصر الوظيفة الصوتية الدلالية للصيغة الحديثة في موقعية الوسط؛ أي: حركة العين ولما كانت الصوائت ثلاثا فوسط الصيغة له ثلاث حالات"¹³ يتبين من هذين الوظيفيتين أن الأصوات لم ترد عبثا، وإنما لها دلالة داخل السياق الذي وردت فيه، فكل صيغة أو صوت؛ حتى صائت له دلالة، وهي إشارة إلى قوة الاستعمال.

ومن هنا عرف ما يسمى (الدلالة الصوتية) على أنها: "مقابلة أصوات الألفاظ أو بعض حروفها أو صورتها اللفظية مما يشاكل معناها، ففي العربية تتمثل مقابلة أصوات اللفظ المشاكل للمعنى في الكلمات الموضوعية؛ كحكاية الأصوات؛ مثل قهقهة (حكاية صوت الضحك) وغاق (حكاية صوت الغراب)"¹⁴ ولا غرو ذلك فقد أشار جلال الدين السيوطي في (المزهر) هذه العلاقة -وذلك فيما نقله عن ابن جني- في عنوان وسمه بـ(مناسبة الألفاظ للمعاني) إذ يقول: "وقد عقد ابن جني في الخصائص بابا لمناسبة الألفاظ للمعاني وقال: "علم أن هذا موضع شريف لطيف قد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول، قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: (صرّ) وفي صوت البازي تقطيعا فقالوا: (صرّصر)"¹⁵.

والملاحظ ممّا نقله الإمام السيوطي أنّ علاقة الصّوت / اللفظ بمعناه ليس وليد المحدثين؛ بل هو جارٍ على السنة العرب قديماً من خصائص لغتهم، والدليل الذي احتجّ به -ومنه كثير- دليل على ذلك؛ فقله: (صرّ) و(صرصر) فهي منوطة بالصائت والصّامت.

كما ذكر في موضع آخر في نص مطوّل تقابل الأصوات ودلالاتها؛ أي: علاقتها بالمعنى في قوله: "فأمّا مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج مُتَلَبَّب عند عار فيه مأموم؛ وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتنونها عليها ... من ذلك قولهم: (خَضِمَ وقَضِمَ) الخضم لأكل الرّطب؛ كالبطيخ والقثاء وما كان من نحوها من المأكول الرّطب، والقضم لأكل اليابس؛ نحو: (ضمت الدّابة شعيرها) ونحو ذلك وفي الخبر: (قد يدرك الخضم بالقضم) أي: قد يدرك الرّخاء بالشّدّة واللّين بالشّطّف... فاختراروا الخاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس"¹⁶

والمتممّن في هذين الكلمتين يلحظ دلالة الصّوتين (الخاء) و(القاف) وكلاهما صامت، ولكن لكلّ منها دلالة غيّرت المراد، وهنا إشارة إلى دقّة الاستعمال اللفظي وانتقائه بحسب المقامات المختلفة.

إنّ هذه الصّوامت الّتي لحظناها إنّما هي ناتجة من الصّفات الّتي تميّزها عن غيرها من الصّوامت، وقد دلّ على ذلك (ابن جنّي) في كتابه (سرّ صناعة الإعراب) قائلاً: "وكذلك (الطاء والثّاء) أقوى من (الدّال) وذلك لأنّ جرس الصّوت بالثّاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدّال"¹⁷.

يتّضح أنّ ابن جنّي ركّز على المعاني الّتي تتماز بها الأصوات مع مراعاة السياق، وليس منوطاً بالصّوامت فحسب؛ بل راعى دلالة الصّوائت وخصوصيتها.

5. دلالة الصَوَاتِ والصَّوَامِ في سورة الحَاقَّة: سبقت الإشارة إلى التعريف بسورة الحاقّة، والمتممّن في السبب في نزولها يتبيّن له العلاقة القائمة بين سبب النزول والحروف والحركات التي امتازت بها الصّورة؛ بل إنّ السّورة في أثناء سماعها أحدث فيه أثراً في الجانب النفسي والانفعالي الداخلي ممّا جعلته يسلم، وذلك في قوله: (فجعلت أعجب من تأليف القرآن) وهي إشارة إلى الوقع الذي أحدثته الجوانب الصوتية في نفسيّة الكافر؛ بل إنّ العجب تلك العبارة التي استند إليها في إسلامه قوله: (فوق الإسلام في قلبي كل موقع) وهي إشارة أخرى إلى ما أحده الرّصف القرآني، والتركيب الدقيق، والاتساق الصوتي، والتناغم الحرفي الكلمي في القلبّي والنّفسي.

1.5. دلالة الصَوَامِ وأثرها النفسي في التعبير القرآني:

-الصَوَامِ المجهورة: "ومعنى الحرف المجهور أنّه حرف قويّ يمنع النّفس أنْ يجريّ معه عند النّطق به لقوّته وقوّة الاعتماد عليه في موضوع خروجه، وإنّما لقّب هذا المعنى بالجهر؛ لأنّ الجهر: الصّوت الشّدِيد القويّ فلما كانت في خروجها كذلك، لقّبت به؛ لأنّ الصوت يجهر بها لقوّتها"¹⁸ وهذا ما ورد في السورة في استعمال هذا النّوع من الصّائت (صرعى، غسليّن، المؤنّفكات، عاد، صرصر، اعجاز، سبع صرعى...) (عجاز، سبع صرعى...)

نلاحظ في الأمثلة الآتية أنّها حوت صوامت مجهزة (الهمزة، الجيم، العين، الراء، الدال، والقاف) فقد وردت القاف متكرّرة (الحاقّة+ ما الحاقّة) (القارعة) وهنا إشارة إلى التّعظيم والتّهويل وتكرارها من باب المبالغة في التّهويل حيث شملت الكلمات على الصّائت (القاف) لذا نلاحظ أنّ الصامت (القاف) حرف جهوريّ يؤثّر على نفسيّة الكافر بصوت شديد ومفزع يوم القيامة؛ لذا قال المفسرون "والقارعة من

أسماء القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بصدمتها¹⁹ فالصّامت له أثر خاص في نفسية المحاق بيوم القيامة؛ فتناسب الصّامت مع السياق الذي وردت فيه.

وهذه سمة بارزة في التعبير القرآني؛ إذ "ينطبق على استichاء الدلالة الصوتية في القرآن بجميع الأبعاد، يضاف إليه الوقع السمعي للفظ، والتأثير النفسي للكلمة والمدلول الانفعالي بالحدث"²⁰. فهذه الأصوات (الصّاد/ القاف، الزّاء) غابتها إحداث الفرع الهائل في نفوس الكافرين الذين كفروا بيوم القيامة؛ حيث "استعمل القرآن طائفة من الألفاظ، ثم اختيار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، واستوحى دلالتها من جنس صياغتها؛ فكانت دالة على ذاتها بذاتها هادرة بالفرع الهائل والمناخ القاتل"²¹.

إضافة إلى الصّوامت المجهورة (العين/ الغين/ القاف، الزّاء/ والواو) فقد وردت "لتصوّر لنا المواقف التي توحى بالحسرة والأسى... والتي شكّلت نسبة عالية جدًا وهي: 78.54% ضعف نظائرها الأصوات المهموسة التي كانت بنسبة 21.46% وهذا ما تناسب سياق السّورة الذي فيه إسماع من خلال الوضوح السمعي العالي لها بتناول أمور عديدة كالقيامة وأهوالها، والسّاعة وشدائدها والمكذّبين وما جرى لهم"²²

-الصّوامت الشّديدة: (الطّاغية، القارعة، باقية، الخاطئة، وقعت، الواقعة، دكّتا، دكّة، حملناكم الجارية السّماء، أرجائها، أني، ملاق، القاضية، سلطانيه، سبعون، فاسلكوه، قليلا، الأفاويل، الكافرين هلك انشقت، طغى، قطوفها).

المتّمع لهذه الصّوامت يلحظ أنّ فيها الشّدة والقوّة؛ حيث تبين عن أهوال يوم القيامة والمناخ العام لها (الطّاء/ القاف/ الكاف/ الباء/ الهمزة/ التّاء) كلّ هذه الصّوامت لها أثرها النفسي في التعبير القرآني فورودها لم يرد عبثًا، وإنّما لها دلالتها؛ لذا نلحظ أنّ حرف القاف نسبة وروده في السّورة أكثر من الحروف الأخرى ممّا يصوّر هلع أهوال القيامة وحال البشر منها ومقدار الفرع في قلوب ونفوس الجاحدين الكافرين ف "الصّوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض؛ فلا أذن

صاغية، ولا نجدة متوقّعة، فقد وصل اليأس أقصاه، والقنوط منتهاه؛ فالصّراخ في شدّة إبطاقه وتراصف إيقاعه، من توالي (الصّاد) و(الطاء) وتقاطر (الطاء)²³

إضافة إلى الصّوامت المجهورة (العين/ الغين/ القاف، الرّاء/ والواو) فقد وردت "لتصوّر لنا المواقف التي توحى بالحسرة والأسى... والتي شكّلت نسبة عالية جدّا وهي: 78.54% ضعف نظائرها الأصوات المهموسة التي كانت بنسبة 21.46% وهذا ما ناسب سياق السّورة الذي فيه إسماع من خلال الوضوح السّمعّي العالي لها بتناول أمور عديدة كالقيامة وأهوالها، والسّاعة وشدائدها والمكذّبين وما جرى لهم"²⁴

-الصّوامت الشّديدة: (الطاغية، القارعة، باقية، الخاطئة، وقعت، الواقعة دكّتا، دكّة، حملناكم الجارية السّماء، أرجائها، أي، ملاق، القاضية، سلطانيه سبعون، فاسلكوه، قليلا، الأقاويل، الكافرين هلك انشقت، طغى، قطوفها).

المتّمعن لهذه الصّوامت يلحظ أنّ فيها الشّدة والقوّة؛ حيث تبين عن أهوال يوم القيامة والمناخ العام لها (الطاء/ القاف/ الكاف/ الباء/ الهمزة/ التّاء) كلّ هذه الصّوامت لها أثرها النّفسيّ في التّعبير القرآنيّ فورودها لم يرد عبثا، وإنّما لها دلالتها؛ لذا نلحظ أنّ حرف القاف نسبة وروده في السّورة أكثر من الحروف الأخرى ممّا يصوّر هلع أهوال القيامة وحال البشر منها ومقدار الفزع في قلوب ونفوس الجاحدين الكافرين فـ "الصّوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض؛ فلا أذن صاغية، ولا نجدة متوقّعة، فقد وصل اليأس أقصاه، والقنوط منتهاه؛ فالصّراخ في شدّة إبطاقه وتراصف إيقاعه، من توالي (الصّاد) و(الطاء) وتقاطر (الطاء)"²⁵.

-صوامت الصّفير: عرّفها مكي في كتابه (الرّعاية): "وحقيقة الصّفير أنّه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الرّيح من طرف اللّسان ممّا بين التّنايا تسمع له حسّا ظاهرا في السّماء"²⁶ ولعلّ هذا ما نلحظه في السّورة في استعمال الصّامات (الصّاد) مكرّرة (صرصر) وهي دلالة على التّهويل والتّخويف للسامع؛ بل فيه نوع من القوة والإطباق

والاستعلاء والجهر بهذه الريح، بل فيه إزعاج للأذن عند سماعه وهذا ما يحويه الصّامت (الصّاد) من معنى ودلالة يقول مكي: "ففيهنّ قوّة لأجل هذه الزيادة الّتي فيهنّ؛ فالصّفير من علامات قوّة الحرف، و(الصّاد) أقواها للإطباق والاستعلاء للّذين فيها"²⁷ وهنا إشارة إلى الريح القويّة العاتية الّتي ستهلكهم وتطبقهم؛ ولعلّ هذا السرّ في التّعبير القرآنيّ راجع لما في الصّامت (الصّاد) من دلالة في معناها.

-صوامت القفلة: (اضطراب الحرف عند النطق به ساكنا) (إذا أردت بيانها للمخاطب احتجت إلى قفلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فتسمع"²⁸ .

وهذا ما نلاحظه في سورة الحاقة في الصامت (القاف) (وقعت الواقعة) وقوله (انشقّت السّماء) ممّا يدل على اضطراب السّماء في أثناء قيام القيامة فتحدث لها في قلوب البشر، فيظهر عليهم الاضطراب والقلق من أهوال يوم القيامة وانشقاق السّماء؛ فلا يستطيعون الحراك ولا الوقوف. قوّة التّعبير لأهوال القيامة وحال البشر فتناسب الصّامت (القاف) مع تصوير يوم القيامة اضطراب البشر حينها.

بدئت السّورة بالاسم (الحاقة) والمتممّن في هذه الكلمة ليلحظ إنّها استهلّت بأصوات فيها نوع من الشّدة والجهر والقوّة:

الصامت والصّائت الطّويل (حَا) وبعدها الصّامت القصير (قَ) والصامت (النّاء) والّتي يتوقّف عليها بالهاء وكلّها أصوات شديدة قوّة تدل على المراد والآخر في نفسية العاصي والكافر، وما يحدث من أهوال القيامة؛ لذا فسّرت كلمة (الحاقة) على أنّها القيامة وهذا ما رواه (الألوسي) بقوله: "الحاقة المراد بها القيامة والبعث، قاله ابن عباس وغيره؛ لأنّها حقّت لكل عامل عمله... لأنها تحقّق كلّ محاقّ في دين الله بالباطل؛ أي: كلّ مخاصم فتغلبه"²⁹ .

البين من هذا القول أنّ الصّوامت والصّوائت الواردة في الحاقّة تدل على الأثر الذي تحدثه في نفسيّة كل من يقرأ السّورة في بُدايتها؛ بل إنّك تجد الصّوامت (الحاء + القاف + التاء) تكررت بالصّيغة نفسها التي تفيد التأكيد والتأثير في نفس السّامع؛ بل إنّ الغرض منها تبيان التّعظيم والتّهويل؛ بل إنّ التكرار (وما أدراك ما الحاقّة) يدل على التنبّيت والتّحقيق في التّهويل؛ حتى يؤثّر في نفسيّة السّامع، وتبين له أنّه لم يحط بأي شيء "والمعنى أنّ فيها ما لم يدر ولم يحط به وصف من أمورها الشّاقة وتفصيل أوصافها... والأمر ذاته في قوله تعالى (القارعة ما القارعة) من أسماء القيامة؛ لأنّها تقرر القلوب بصدمتها، وقال الرّمخسري: تقرر النّاس بالأقراع والأهوال والسّماء بالانشقاق والانفطار³⁰.

والمحوظ في السّورة أنّها انمازت بالصّوامت الشّديدة المجهورة كقوله: (الطّاغية، القارعة، العاتية، الرّابية، باقية...) ولعلّ هذه الصّوامت تبين وتقصح عمّا يعانيه الكافر بكفره بيوم القيامة؛ فاستعمل التّعبير القرآني ما يؤثّر على نفسيّته لكفره وجده باستعمال الصّوامت الشّديدة والمجهورة (الطّاء، القاف، العين، الرّاء، الباء) حيث إنّها حروف شديدة تدل على شدة وأهوال يوم القيامة؛ أضف أنّها تدل على أنّ الكافر سينقطع نفسه، ويتوقّف صوته وهذا ما أشار إليه ابن جنّي في بيان دلالة الصّوامت الشّديدة بقوله: "ومعنى الشّديد أنّه الحرف الذي يمنع الصّوت من أن يجري فيه، ألا ترى لو قلت: الحقّ والشّطّ ثم رمت صوتك في القاف والطّاء لكان ذلك ممتنعاً"³¹ وهنا إشارة إلى ما يعانيه أصحاب الجحد وعدم الإيمان بيوم القيامة.

2.5. دلالة الصّوائت (الحركات): لا ريب أنّ الصّوائت لها دلالة داخل

السياق، بل في الكلمة ذاتها، وهذا من معجزات اللّغة، بل الكلمة في التعبير القرآنيّ بله الأثر النفسيّ والانفعاليّ الذي يحدثه في نفسيّ المتلقّي، والأصوات اللّينة/ العلل/ المدّ / الصّلة / الطليقة لها "مهمّة جليّة في اللّغة العربيّة حيث تعتبر أساساً لقوّة

السَّماع في اللّغة الرّاسخة القدم في تاريخ المشافهة.. وهذه الخاصيّة كانت طابع العلم العربيّ حيث تواتر بوساطة الرّواية؛ حتّى عصر التّدوين³². وسنحاول تبيان بعض مواطن دلالة الصّوائت في سورة الحاقة:

- **هَاء السّكّت:** الملحوظ في سورة الحاقة أنّ هاء السّكّت أخذت حظّها الأوفر من الانتقال، وفي حقيقة أمرها زائدة (سلطانيه، ماليه...) وأصلها: سلطاني ومالي، وهذه الخاصية واقعة في الكلام العربيّ؛ فقد "حكى ابن جنّي أنّ رجلاً من أهل المدينة أنشد: أبا عمرو بن العلاء قول ابن قيس الرّقيات:

إنّ الحوادث بالمدينة قد ... أوجعتني وقرعن مروتيه

فانتهره أبو عمرو فقال: ما لنا ولهذا الشّعر الرّخو، إنّ هذه (الهاء) لم توجد في شيء من الكلام إلّا أرخته، فقال له المديني: قاتلك الله! ما أجهلك بكلام العرب! قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ (28) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ [الحاقة: 27-29] وقال: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ﴾ [الحاقة: 25-26] فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً. قال أبو هفّان: وأنشد هذا الشّعر عبد الملك بن مروان، فقال:

أحسنّت يا بن قيس، لولا أنّك خنّنت قافيتّه، فقال يا أمير المؤمنين! ما عدوت قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ (28) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ فقال عبد الملك: أنت في هذه أشعر منك في شعرك³³.

وقد علّق (الرّديني) على هذه القضيّة من الجانب الانفعاليّ قائلاً: "وما كان لأبي عمرو أن ينكسر أما المديني، ولا لعبد الملك أن يعجب بجواب ابن قيس، إنّ كانا قد أراد الضّعف الشّعوريّ؛ لأنّ ما سبق من الآيات احتجاجاً عليهما لا يعدو ما قالاه، فإنّ فيها من اللّين ما وافقت به انكسار من قيلت على لسانه من الكافرين³⁴.

وأما (الهاء) فقد وردت في السّورة لتدلّ على دلالة معنويّة يقتضيها السّياق وهي الانتباه لدى السّامع؛ كونها من "الاصوات الهاوية وينفتح فيه جهاز التّصويت انفتاحا عادياً فيجري النّفس معها جرياً، وقد حقّقت الهاء صوتياً مناخ الانتباه وجاءت بنسبة قليلة في السّورة مقارنة بالاصوات الاخرى وهي 4.08% وزيدت رعاية لفواصل الآيات المختومة بـ(التاء) القصيرة والتي اقتضى السّياق نطقها هاء للتوافق"³⁵.

وبشير (عباس حسن) إلى هذه الدّلالة في هاء السّكت وأثرها النّفسي قائلاً: "أما الاهتزازات الصّوتيّة للهاء، فهي تحدث في الحلق قريباً من جوف الصّدر، لا أرق أنسجة، ولا أكثر حساسية، ولذلك فإنّ هذا الموقع الممتاز لمخرجها قد جعل اهتزازتها الصّوتيّة أكثر عرضة للتأثّر المباشر بمختلف الانفعالات التي تحيش الصّدر، من حدّة وقساوة أو حزن وأسى أو تهكم وسخرية أو رقّة وشفافية"³⁶.

إنّ هذه الدّلالة نلاحظها في السّورة بوضوح في (سلطانيه، ماليه، حسابيه، القاضيه، الخاليه...) فقد بيّنت صورة الكفار وما آلوا إليه من يأس وقنوط، وبحقيق إنّ (الهاء) صوّرت هذا المشهد وهو من دلالتها؛ كونه "هو أقدر الاصوات على التّعبير إichاء عن مشاعر اليأس والأسى والشّجي"³⁷.

والمتعمّن في طريقة التعبير القرآني في سورة الحاقة في استعمال (الهاء) أنّها وردت في تعبيرين/ صورتين عظيمتين؛ فالصّورة الأولى بالنسبة للمؤمن/ (أصحاب اليمين) في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلُمُ افْرَعُوا كِتَابِيَهُ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ هذه الصّورة التي رسمت استبشار المؤمن وفرحه يوم الحساب (كتابه حسابيه، راضيه، عاليه) فهنا الصّورة رسمت مشهداً عظيماً وجليلاً له أثره في النّفس فالصائت (الألف) =

راضيه) فيها نوع من الاستقرار مع السكينة في الهاء، والصائت الألف = عالية) بمعنى أنّ المؤمن لها خير كثير وبشارات لا تحصى؛ وهنا نلاحظ دقة التعبير القرآني في رسم صورة المؤمن وهو في طمأنينة وسكينة في الجنة؛ فهو "هول المفاجأة ووقع السّرور تصيبه حالة من الفرح والسّرور الشديد والتي تتسارع فيها النفس من عظم المسرة، فتخرج هذه الهاء معبرة عن هذا الشعور العظيم"³⁸. ومن فإنّ (الهاء) هاهنا صوّرت مشهد المؤمنين /أصحاب اليمين وبيّنت حالتهم النفسية والشعورية من المسرة والفرح والطمأنينة بين يدي الواحد الأحد.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ (26) يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ (28) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ أما في هذه الصورة التي صوّرت مشهد أصحاب الشمال وهم بين يدي الملك الجبار وهو في شقاوة وحزن وهو يرجون الهلاك (هلك) (القاضية) وكأنهم في الهاوية باستعمال (هاء السكت) فقد صوّرت حالة الكافر وهو "يصاب بحال من الإحباط تؤدّي به إلى الكآبة وفقدان التوازن، وينادي بالويل والثبور، ويأخذ بالصراخ والعيول، الذي لا يعول عليه أيّ تعويل، فتجيء هذه (الهاء) لتطلّعنا على هذه الحالة النفسية الكئيبة الحزينة الباكية المهلهلة والعياذ بالله من هذا الموقف كهذا"³⁹ بحقيق إنّ هذه الصورة الدالة أبانت عن الحالة النفسية والانفعالي الداخلي لما يحدث لأصحاب الشمال من قرع وسوء حال، وفزع واضطراب داخلي، يدل على ندمهم وحسرتهم.

3.5. دلالة الحركات في السّورة: المتمنّ في السّورة يلحظ أنّ الحركات لها

دلالة في التعبير القرآني، ولنا أن نبدأ بقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْخَاقَةُ﴾ نلاحظ حرف الحاء بصائت الحركة (الفتحة) صائت مفتوح (حا) وهي نبرة فيها عمق ونبرة من الحدة وكأنها شيء مخفي لا يرى؛ مما يحدث الرّعب في نفسية المتلقّي بأن

يتخيّل هذا المشهد، وبخاصة مع تكرار الصّائت (الفتحة مع المد) مما يدل على تعظيم وتهويل يوم القيامة.

كما نجد الفتحة في حرف الهاء في كلمة واحدة (هاؤم) وردت هذه الكلمة مرّة واحدة فتحة طويلة+ ضمة قصيرة + ضمة) وهذه الصّوائت لها دلالة في التعبير القرآني ناهيك عن الأثر النفسي؛ فهي "اسم فعل أمر منقول عن حرف التّثنية (ها) أو (هاء) مبنيّ على السّكون؛ بمعنى: (خذ) وهو اسم من الفعل المنقول عن حرف غير جار، وفيه لغتان: القصر على ثنائية، نحو: ها، مثل: صه، مه، والمدّ مع كاف الخطاب أو بدونها، نحو: هاء (هاك) للمذكّر، و(هاك) بالكسر للمؤنث، وقد تلحقه (ميم الجمع) نحو ما ورد في قوله: (هاؤم)⁴⁰.

كذلك نلاحظ (الواو المدية) في قوله (فاسلكوه) ودلالته التّعبيرية تبيان "العذاب الذي يحيق بالكافرين في يوم القيامة، فأيديهم تربط بالأغلال وأجسامهم بالسّلاسل، والوقفة مع صوت (الهاء) والواو المدية قبلها أكّد لنا شدة هذا العذاب واستمراره، فالسلسلة الواحدة يستشعر بضيقها فما بال سلسلة فيها سبعون ذراعاً، وقد شكّل لنا التّلاؤم الصّوتيّ بين الأصوات فواصلها تنوّعا في الإيقاع"⁴¹.

6. الخاتمة: تضمّن هذا المقال بحثاً في الدّرس الصّوتيّ عموماً، والتّعبير

القرآنيّ خاصّة، وهو (دلالة الصّوائت والصّوامت في التّعبير القرآنيّ) أضف إلى أثرها النفسيّ، ومن خلال البحث بصرنا للنتائج الآتية:

-الصّوائت والصّوامت من المباحث الأساسيّة في الدّرس الصّوتيّ، ولها

دلالات في الكلام العربيّ؛

-شكّلت الأصوات (الحروف) دلالات مختلفة في سورة الحاقة، فقد أبانت عن

المعاني التّعبيرية فيها، بله الدّلالات النفسيّة من الفرح والاطمئنان بالنّسبة لأصحاب اليمين؛

-سورة الحاقة من السور التي امتازت وامتازت بدقة الصوامت والصوائت، وهذا يدل على طريقة النظم الصوتي وأثره الحسي والشعوري؛ فما من حرف أو حركة إلا ودلت على معنى قوي ومائز؛

-امتازت السورة بالصوائت المجهورة التي كان لها الأثر في تبيان الموقف يوم القيامة، والإبانة عن الرهبة والتَّهويل والتَّعظيم؛

-مِيزة الانسجام الصوتي بين الصوائت والصوامت مائزة في السورة مما يدل

على الدلالة التي تحدثها في السياق، وإثارة السامع ورسم الصورة التَّهويلية لديه؛

-امتازت سورة الحاقة بالأصوات بالصوائت المدية القوية التي تدل على

الغرض المرجو، والتعبير الأساس والرئيس وهو التأثير على أصحاب الشمال تارة وأصحاب اليمين طورا.

المراجع والمصادر:

¹ أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مادة (ص و ت)، د.ط. بيروت: ج3، ص319

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية د.ط. مصر: 1999، مكتبة أنجلو المصرية، ص5

³ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، د.ط. القاهرة: 1352هـ، ص104

⁴ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ط2. القاهرة: 1981، ص4

⁵ كمال بشر علم اللغة العام، د.ط. القاهرة: 1970، ص37

⁶ محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، ط4. سورية، ص123

⁷ عصام نوالدين، علم الأصوات اللغوية -الفونتيكا-، دار الفكر اللبناني، ط1. بيروت: 1992، ص23

⁸ رمضان عبد التَّوَّاب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط2. القاهرة: 1985، ص42

⁹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص28

¹⁰ كمال بشر، علم اللغة العام، ص74

¹¹ محمود السعمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، د.ط. بيروت:

ص 149

¹² نفسه، ص 151

¹³ بهية زخنين، المنطلقات الصوتية للمباني المورفولوجية في كتاب الكافي في التصريف لأحمد بن يوسف أطفيش، إشراف مكي درار، كلية الآداب واللغات جامعة وهران:

2009/2010، ص 08

¹⁴ محمود علي عبد الكريم الزديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، د.ط. عين مليلة، الجزائر: 2009، ص 19 فما بعدها.

¹⁵ جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شر: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، ط3. القاهرة: دار التراث، 1، ص 48

¹⁶ نفسه، ج 1، ص 49

¹⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هندواي، دار القلم، ط3. دمشق: 1993، ص 6

¹⁸ أبو محمد مكي أبو طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 117

¹⁹ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 315

²⁰ محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط1. بيروت: 2000، ص 165

²¹ نفسه، ص 165

²² نرمين غالب أحمد، أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة -سورة الحاقة- نموذجاً، مجلة حوليات التراث، ع 11، جامعة زاخو كردستان، العراق: 2016 ص 44.

²³ نفسه، ص 166

²⁴ نرمين غالب أحمد، أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة -سورة الحاقة- نموذجاً، مجلة حوليات التراث، ع 11، جامعة زاخو كردستان، العراق: 2016 ص 44.

²⁵ نفسه، ص 166

²⁶ أبو محمد مكي أبو طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 167

²⁷ نفسه، ص 124

²⁸ الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص 159

- ²⁹ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت: ط1. 1993، ج 8 ص315
- ³⁰ نفسه، ص316
- ³¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص61
- ³² محمود علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص163
- ³³ ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ط. دمشق ج3، ص293
- ³⁴ محمود علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص82
- ³⁵ نرمين غالب أحمد، أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة -سورة الحاقة- نموذجاً، ص47
- ³⁶ عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها -دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط. دمشق: 1998، ص194
- ³⁷ نفسه، ص194
- ³⁸ جمال محمود أبو حسان، الدلالة المعنوية لفواصل الآيات القرآنية -دراسة في بيان القرآن، الكريم وإعجازه، دار الفتح للنشر، ط1. الأردن: 2010 ص211
- ³⁹ نفسه، ص211
- ⁴⁰ فاطمة عبد الزهرة الجليل، مظاهر الدلالة الصوتية لأسماء الأفعال في القرآن الكريم، مجلة تسليم، مج12، ع23، العراق: كانون الأول، 2022، ص24
- ⁴¹ نرمين غالب أحمد، أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة -سورة الحاقة- نموذجاً، ص48